دوفصلنامۀ علمی ـ تخصصی
زبان و فرهنگ ملل
سال ۲، شمارۀ ۳، بهار و تابستان ۱۳۹۸
صص: ۲۴۶-۲۲۱

قراءة التقريب بين المذاهب الإسلامية من منطلق: إسلامی، تعددی، علمانی، أحادی

احمد شفیعی نیا[1]

الدكتورى فى فرع الفكرة المعاصرة من مؤسسة اللغة والثقافة لجامعة المصطفى العالمية؛ السطح الرابع من الحوزة العلمية؛ وما بعد الدكتورى فى فرع الفقه والحقوق المقارن من جامعة العدالة بطهران؛ والماجسترا فى فرع الفلسفة والكلام التطبيقيين (الإسلام والغرب) من جامعة قم.

تاريخ الإستلام: ۱۳۹۷/۷/۲۵ | تاريخ القبول: ۱۳۹۸/۵/۳۱

الخلاصة

للتقريب مواصفات واتجاهات مختلفة نظرة للرؤى المتفاوتة بها؛ فمن منطلق الكتاب والسنة له مبادئ ممّا يهتمّ بها الإسلام من: التكافل الإجتماعی، والأخذ بالإسلام كمبدء مع إبقاء المذاهب على ما هم عليه، و إبعاد الحوارات العلمية والفقهى عن مسائل التاريخ تحكيما للإجتهاد، والتركيز على الأصول الإسلامية. ومن منطلق التعددية التقريب يعنى إعتبار جميع الفرق على أنها حق أو أن نعتبر كل واحد منها يشتمل على بعض الحقيقة، مع أنّ إشتراكهم جميعا فى الإسلام وبعض إختلافهم لايكون إلاّ منهجيا. والعلمانية أيضا تريد طرد الإسلام وإقصاءه عن ساحة الحياة بالمرة، وحصره فى زاويه ضيقه منها، وهى إمحاء صورة المشكلة لا إزائة حلّ لها؛ وهذا يتنافى مع أهداف التقريب الذى يعرف الإسلام البرنامج المشتركة المنجية للبشر. والفكرة الغربية تريد أن تجتمع الناس بحوافز المادية كالإتحاديات المبنية على الأسس الإقتصادية أو السياسية أو العسكرية؛ وفى ذات الوقت يتغافلون عن الأبعاد المعنوية للإنسان والمجتمع؛ والذى التقريب يريده هى: جمع المسلمين على اسس مادية ومعنوية، تطبيقا لرؤية الإسلام الجامعة لما يحتاجه الإنسان من الماديات والمعنويات.

الكلمات الرئيسة: التقريب؛ التعددية؛ العلمانية؛ التكافل الإجتماعی؛ التعاون.

---

[1]. **E-mail**: ahmadshafiai@yahoo.com

المقدمة

الوحدة الإسلامية عبارة عن وحدة كلمة الأمَّة تجاه قضاياها الأساسية وأهدافها المشتركة ووقوفها صفا واحدا أمام الأعداء، وهى الغاية القصوى من المحاولات الجارية والجهود الجبارة والدعايات الوحدوية من قبل المصلحين فى العالم الإسلامى. ونحوه كلمة التقريب بين المذاهب الإسلامية التى تعبير عن بذل الجهود العلمية فى سبيل إزالة الفوارق التى باعدت بين المذاهب الإسلامية بحيث ينكر بعضهم بعضا، وينظرون إلى المذاهب كأنَّها أديان مختلفة. فمن أكبر الفروض على العلماء أنْ يقفوا بكلّ قوَّتهم أمام الجهود المضادَّة والمساعى المبذولة من دون حدٍّ من قبل الأعداء المستعمرين، والأفكار الخاطئة التى تعمل كمنطلقات لقراءة التقريب بين المذاهب الإسلامية على ما يريدونهم.

ولكنَّ الواقع الذى كانت تعيشه البلدان الإسلامية لم يكن واقعا يتمثل فيه الصراع الشامل مع الحضارة الإستعمارية بما لها من مبادئ خاطئة. فلابدَّ لها من التحوُّل إلى حالة المبادرة، وتقديم الأطروحات المناسبة مع الإستكبار دفاعا عن كلّ مستضعفى العالم؛ لحلّ مشكلات الإنسان لا المسلمين فقط. ولاشک أنَّ المضمون المعنوى والقوة المادية التى تمتلكه الحالة الإسلامية بمراجعة التراث الإسلامى القيم، وبمشاركة المسلمين من مفكّريهم والشعب، يمثل أعظم طاقة وأكبر قوَّة تمتاز بها الحالة الإسلامية المتفرقة تجاه هذا الصراع الحضارى.

سابقة البحث

هناك محاولات درست أفكاراً مثل: التعددى، والعلمانى والأُحادى؛ وقاموا بنقدهم؛ ولكن بالنسبة إلى تصادم هذم الأفكار مع مفردة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى الآن لم أرى جهداً علمياً مبذولاً فى هذا المضمار.

البحث

فهاتك الآن البحث عن قرائة التقريب بين المذاهب الإسلامية من الرؤى المختلفة: من الإسلامية، والتَّعددية، والعلمانية والأُحادية، بحثا تطبيقيا للوصول إلى المعنى الصحيح للتقريب وما له من مبادئ وقيم من منظور إسلامى وما يخالفه من منظورات أخرى.

١ـ قراءة التقريب من منطلقٍ دينى

من منطلق الكتاب والسنة، هناك مبادئ للتقريب بين المذاهب الاسلامية، التى من دونها لايتحقق هذه المهمه الدينية والإجتماعية؛ وهى:

١/١ـ التكافل الإجتماعى

ويتجلى إهتمام الإسلام التكافلى فيما يلى:

الف ـ الشورى

قال سبحانه وتعالى: «وَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ». (آل عمران: ١٥٩) فالشورى أقر بها الإسلام وأقر الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) بها، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يستشير أصحابه فى كثير من الأمور مهما كانت اهميتها كالحروب التى وقعت بينهم والأعداء و كانت لها من المكانة ما يساوى الهدم والبقاء للاسلام والمسلمين. فقد روى أبو هريرة أنه قال: >لم يكن أحداً أكثر شورة لأصحابه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لأن إشراك المرؤوسين بالشورة وأخذ رأيهم يرفع معنوياتهم<. (ابن وهب، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ٣٩٩/١؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى،١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ٢٤٤/٣١، ٢٥٤؛ محمد بن عيسى الترمذى، أبو عيسى، ١٩٩٨ م، ٢٦٥/٣)

ومن أهم وظائف التقريب هو منع المسلمين عن الإستبداد بالرأى فيما يرتبط بالمجتمع الإسلامى حاضرها ومستقبلها، والشورى بينهم فى المهمات الإسلامية. إقتداء بالأسى؛ لأنَّ ههنا أُسًى قيمةً من الأنبياء وأتباعهم، إذا أتبعناهم أوصلونا إلى شاطىء النجاة والسيادة. وكان بإمكان المسلمين الآباء والأمهات والمعلمين، أن يدرّبوا أبناء الإسلام على القومية الإسلامية كما يدرّبوهم بتلقينهم التوحيد والنبوة وبقية الإعتقادات. ومن آثار هذا الإقتداء أن يشكّلوا جميعا أمة إسلامية واحدة يعتزون بها فوق إعتزازهم بأسرتهم، وقومهم، وشعبهم، ووطنهم، ومذهبهم من العلاقات الفارقة بينهم. والإحساس بأنَّهم أمة إسلامية واحدة لما أنَّه مبتنٍ على إعتقاداتهم، فإحساسٌ طيبٌ عالٍ يبقى فى نفوسهم حياً طرياً، جيلاً بعد جيلٍ. (محمد واعظ زاده الخراسانى، ١٣٧٩ش، ١٤٢١ق، ٥٨ ـ ١٠٣؛ السيد محمد باقر الحكيم، ١٩٩٦م، ١٤١٧ق، ١٤-٨٠)

ب ـ الرفق

ركز الإسلام على جانب يعد من أهم جوانب التنظيم والإدارة للمجتمع وهى الأخلاق العامة، قال تعالى: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». (الشعراء: ۲۱۵) فهو سبحانه بين أن استخدام العنف والفظاظة والكلمة القاسية تنفى القلوب وتباعد بينها، وتجعل العلاقات متوترة؛ وأوضح أن الرفق واللين والكلمة الطيبة أسرع وصولاً إلى القلب وقبولاً لها، قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ». (آل عمران: ۱۵۹)

ومن أخلاق النبى الأعظم وأتباعه، والذى أكد عليه القرآن هو رفق المسلمين بعضهم البعض، وإظهار عدائهم للكفار: «مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلىَ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهَمْ». (فتح: ۲۹) وهو من التعاليم الأساسية التى يريد التقريب تحقيقها فى المجتمع الإسلامى، تحقيقا للمدينة الفاضلة النبوية. وممّا يجدر بالذكر هو عدم منافاة هذه الفكرة مع المبدء الإسلامى القائل بحسن التعامل مع الناس جميعا؛ لأنّ هذه الغلظة هى الشِّدَّةُ قَبلَ الحَربِ أو حِينَها أو بَعدَها أو فِى جَمِيعِ الأحوال:

(۱) فان كان قبل الحرب فبإعداد ما استطاعوا مِن قُوَّةٍ وَ مِن رِباطِ الخَيلِ وَ مِن عَدَمِ اللِّينِ فِى الكلامِ، بِحَيثُ يحُسُّ منه الضَّعف و الهوان، بل بنحوٍ قاطعٍ جازمٍ و تهديدٍ قارعٍ.

(۲) و ان كان حينها فبالشجاعةِ و الإقدامِ و تضحيةِ النُّفُوسِ و إلقاءِ النَّفسِ فى المعركَةِ و التعرّضِ للشَّهادةِ و إيثارِ النَّفسِ وَ المالِ، كلَّها فى قتلِ الأعداءِ و حَسمِهِم و الإثخانِ فِيهِم، كما قال تعالى: «ما كانَ لِنَبِى أَنْ يكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يثْخِنَ فِى الأَرْضِ». (انفال: ۶۷) و قال: «فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ». (انفال: ۵۷)

(۳) و ان كانَ بَعدَها فَبِشَدِّ الوَثاقِ، وَ عَدَمِ الإهمالِ فِى تَعقِيبِهِم وَ أخذِهِم، وَ الاهتِمَامِ الشَّدِيدِ فِى حِفظِهِم، نَعَم مَعَ مُراعاةِ حُقُوقِ الأسارى.

(۴) وان كان فِى سائِرِ أحوالِهِم فَبِعَدَمِ المُوالاةِ وَ المُوادَّةِ مَعَهُم وَ مُحاكاتِهِم فِى المَلابِسِ وَ المَساكِنِ وَ الرُّكُونِ إليهِم وَ حُبِّهِم.

ج ـ التعاون

التعاون مبدأ دينى وإنسانى، ولا يمكن أن تستقيم الحياة بدونه؛ ولذلك أمر الله سبحانه المؤمنين بالتعاون، فقال: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ». (المائدة: ٢)

من خلال التعاون يشترك الجميع فى صنع القرارات، وتبنّيها، وتحويلها إلى تطبيق عملى على أرض الواقع؛ فالمؤمن قوى بأخيه، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا. فعندما يجتمع العمل بروح الفريق، ومحاولة تحرِّى الصواب مع تقوى الله تعالى والإخلاص، يتحقق للعاملين التوفيق فى أعمالهم، والنجاح فى تحقيق أهدافهم. كما قال عز وجل: «وَإِن يرِيدُوا أَن يخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَينَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يا أَيهَا النَّبِى حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». (الأنفال: ٦٢ـ٦٤) فالفرد الذى يعمل بمفرده لايستطيع أن ينقل الخير إلى غيره، بل لابد أن يكون عمله خالصا لله وسوف يرى نشاطاً مشتركاً ويتحرك بتوازن دقيق بين الروح الفردية والروح الجماعية فيكون عمله فى إطار الجماعية ويستفيد منها المجتمع.

وبما يعود أصل مفردة التّعاون إلى الفعل أعان، ومعناه تعاون الأفراد بعضهم بعضاً، فهذا يعنى المشاركة مع الآخرين ضمن مجموعة لتحقيق المصلحة للجميع، ويكون التعاون فى السراء والضراء، كما يكون على البرّ والتقوى.

يظهر أثر التّعاون فى المجتمع بعدّة جوانب، وهى تحقيق التّكافل بين الأفراد ممّا يؤدى إلى تماسك المجتمع وزياد قوّته، ونشر المحبّة بين أفراده، وتحقيق الأهداف والغايات السامية، ويؤدى ذلك إلى نجاح المجتمع وتطوّره. وقد يكون التّعاون إجتماعياً للخروج من مشكلة ما، أو اقتصادياً لتبادل السلع، أو عسكرياً فى الحروب والتصدى للعدوان، أو ثقافياً لتبادل المعرفة. فالتّعاون ضرورة من ضرورات الحياة، والإنسان مدنى بطبعه فهو لايستطيع العيش وحده ويلبى متطلباته من دون التّعاون؛ حيث يعود عليه بالكثير من المنافع؛ فالله تعالى خلق الإنسان ووضع فيه حاجته إلى الغذاء والبقاء، ولا يمكن للفرد أن يلبى هذه الحاجات، ويواجه الأخطار المحيطة به إلّا من خلال تعاونه مع غيره من الأفراد. ومن أهم فوائد التعاون أنه يؤلّف بين الأفراد ويزيل الضغينة من قلوبهم، كما يساعد على إنجاز الأعمال الكبيرة التى يصعب على الإنسان تنفيذها

بمفرده؛ ويدفع الفرد والمجتمع إلى بذل كلّ ما لديهم من جهدٍ وقوّة، ويجدّد طاقته وينشطه، كما يخلّصه من الأنانية وحُبّ النّفس.

التّعاون هو فطرة جميع مخلوقات الله تعالى التى فطرهم عليها من كبيرهم إلى صغيرهم، وهو صفةٌ من صفات المؤمن، ويدلُّ على أهميته فى الإسلام أن الآيات القرآنية جاءت بأسلوب الخطاب الجماعى فى أكثر من موضع، مثل قوله تعالى: «يا أَيهَا الّذِينَ آمَنُوا»، و«يا أَيهَا النّاسُ»، و«بَنِي آدَمَ». وهذا دليل واضح على أهمية التّعاون والعمل والتّكافل الجماعى.

وهو أصل من أصول الدين الإسلامى، ينبغى للمؤمن العمل به من أجل دنياه وآخرته، وهو ما تعلق به الأمر الإلهى، وكل أمر إلهى يقتضى على المسلم العمل به لأنه ظاهر فى الوجوب. وينظر الإسلام للتّعاون بأنه ثمرة من ثمرات الأخوة والقوّة، ويصل به المؤمن إلى التخلى عن الأنا، وهو فضل يصل نفعه إلى الآخرين، ووسيلة المؤمن لنيل رضا الله عزّ وجلّ، ويرى الإسلام أن الأعمال لا تُنجز ولا تُثمِر إلّا بالعمل الجماعى التّعاونى، أمّا التنافس والتنازع بين الأفراد فهو يؤدى إلى إنهيار المُجتمع الإسلامى وفشله، قال تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ». (الأنفال: ۴۶) وإنّ الاعتصام بحبلِ الله تعالى هو الدّافع الأكبر للتّعاون بين المسلمين؛ وذلك لأن الإنسان بطبعه يتنازع ويتخاصم فى الأمور الدنيوية؛ كما قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا». (آل عمران: ۱۰۳)

ومن أهم صور التعاون التى تحقق الأُمة الإسلامية الواحدة، وتخدمها فى سبيل رقيها الحضارية، والتّعاون بين الدّول الإسلامية؛ حيث إنها الأحوج والأَولى لتحقيق مبدأ التّعاون بينها فى جميع المجالات سواء الاقتصادية، أو العسكرية، أو السياسية، أو الثقافية، وذلك حتّى يستفيد جميع المسلمين من الخيرات الّتى وهبها الله للأُمة الإسلامية من المعادن، والبترول، وخصوبة التربة، والمياه العذبة، والمواقع الجغرافية الممتازة، ومن كل الثروات الإلاهية المودعة فى البلدان الإسلامية؛ فذلك يزيد من قوة المجتمع؛ لأنّ التعاون يوجب إزدياد الإستثمار فتزداد فرص العمل، ويجعل المجتمع فى قمة عالية من كلّ رفاه و أخلاق.

وذالك؛ لأنّ الحضارات شّيدت على مرّ العصور من قبلِ أفرادٍ كانوا للحضارة كحجر أساسٍ، فلا يقوم البناءُ بحديدٍ، أو أخشابٍ، أو حجارةٍ، إنّما بترابطٍ، وتعاضدٍ، وتكافُلٍ، كذلك الحضارات لا تقوم إلاّ بوجود أفرادٍ يربطهم التّعاون؛ ليعينوا بعضهم على بناء مُجتمعاتٍ

متماسكةٍ، تنجح فى تشييد الحضارات، ولا يكونُ هـذا إلا بأيـديهم ورقـى فكـرهم؛ فـإنْ حصـل واندثر حجر الأساسِ هذا، قُضى على الحضارة كُلّها، وصارت أثراً من الماضى. الفردُ والمجتمعُ عُنصران مُترابطان لا ينفكّ بعضهما عن الآخر؛ فكما أنّ المُجتمعَ بلا أفـرادٍ مُجتمـعٌ مُتهـدّم؛ فـإنّ الأفراد كذلك بنيانُهم متصدّعٌ متشققٌ بلا مُجتمع يجمعهم؛ فالله خلقَ الإنسـانَ اجتماعيـاً؛ أى لا يقوى على العيش وحيداً، والفردُ حسب النظرية الاجتماعية التفاعلية غير قادر على تَعلُّم الأشـياء بمفرده بمعزلٍ عن المجتمعِ حوله؛ حيثُ يحتاجُ توجيهاً وتشاركاً مستمرّين مع من حوله من أفـراد مجتمعه؛ ليكتسب من ذلك خبراتِه، ويصنعَ معارفَ جديدةً.

ولهذا شجّع الإسلام التّضامنَ والتّعاونَ بـين أفـراد المجتمـع؛ لأنّ هـذا أسـاسُ كـلِّ نجـاحٍ وتقدُّمٍ، وبه يقوم دين الأفراد ودُنياهم، فكلمتهم لن تتوحّد، ومصالحهم الدنيوية لن تتمّ وتترتّـب، وعدوُّهم لن يخشى بأسهم، إلّا بالتّضامن الذى أوجبه الإسلام، وجعله مـن أهـمّ الواجبـات التـى يجب فعلها لتحقيق صلاح المجتمع؛ فالمسلمون مثل البنيان المرصوص والجسد والواحد إن هُم تعاونوا. (الكفايات والتمثلات فى التعليم، مجلة الآداب والعلـوم الاجتماعيـة، العـدد ٩، ص: ٥٧ ـ ٦٩؛ خطبة عن فضل التعاون فى الإسلام"، الألوكة الشرعية، (١٦ ـ ١ ـ ٢٠١٦)؛ واقع وتحدّيات التنمية البشـرية بالجزائر، دراسة للفترة (١٩٩٥ ـ ٢٠٠٥)، مجلة الآداب والعلـوم الاجتماعيـة، العـدد ٩، ص: ١٧٤ ـ ١٨٥؛ عبد الرحمن الميدانى، ١٩٩٩، ٢٠٢؛ التنشئة الأسرية وعلاقتهـا بـانحراف الأبنـاء، مجلـة الآداب والعلـوم الاجتماعية، العدد ٩، ص: ١٣٢ ـ ١٤١)

١/٢ ـ الأخذ بالإسلام كمبدء مع إبقاء المذاهب على ما هم عليه

وممّا نراه فى طيات تاريخ الإسلام من الفـرق بـين ماضـيه المزدهـر وحاليـه المـولم؛ لانّ المسلمين، ماضيهم مشرق مضىء، قوى عزيز، وحاضرهم ضعيف مسـتذل، معتـدى عليـه. لـذا يقف المسلم متألماً من الواقع الذى صار إليه المسلمون من تفرق كلمتهم وشملهم، نتيجة لتفرق المذهب والعقيدة، لتمسـكهم وتصـلبهم بالمـذاهب المختلفـة كانـت البـاب الـذى دخـل منـه الخلاف، واستغل الإستعمار هذه الثغرة فوسعها، وباركها كما يبارك الشيطان فعـل الكبـائر: هـذا إمامى، وذاك زيدى، ومنهم من غلا فى مذهبه علواً كبيراً: فهذا إسماعيلى، وذاك درزى، والآخر علوى، ثم يلتفت مرة أخرى فيجد أيضاً بعض رجال السنة يختلفون، ويجد أيضاً بأن هـذا أباضـياً وهذا يميل إلى الإعتزال، والإسماعيلية نفسها فيها النزارية الآغاخانية، والمستعلية البهـرة، ثـم فـى

الهند بعيداً جماعة الأحمدية أو القاديانية، وهى تنسب نفسها إلى الإسلام، ويصلح فريق منها ويضل فريق مذاهب مختلفة وعقائد متعددة فى ظل دين واحد، ورسول واحد، يستغلها ذوو النيات السيئة وأصحاب المقاصد الدنيئة فى حزب المسلمين بعضهم ببعض.

لقد كان إعتماد الصحابة ومنهم الخلفاء الراشدون على الكتاب والسنة وقد كانوا يختلفون وإلى بعضهم البعض يرجعون وكانت الآراء تتعدد فيما بينهم فيؤخذ بالأقرب إلى الكتاب والسنة ولم يصل هذا التعدد فى الآراء درجة المذاهب بل بقيت تلك المرحلة وما بعدها خالية من المذاهب، فلم يكن لهم من دين سوى الإسلام ولم يكن لهم من مذهب سوى الإسلام، فلم يكن مذهب على ابن أبى طالب (عليه السلام) شيعياً، كما لم يكن مذهب الخليفة الأولى سنياً، ولا الخليفة الثانية مالكياً، ولا عائشة أم المؤمنين حنفية أو حنبلية، ولم يكن لسائر الصحابة أيضا من معتقد سوى الإسلام.

وعلى هذا النهج الذى ذكرناه سار الصحابة والتابعون وتابعوهم وعاش المسلمون فى ظل هذه الأجواء زهاء ثلاثة قرون عندما اكتملت المذاهب بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل. وقد حصل هذا الإكتمال للمذاهب تباعاً وقد كان أولها على رأى الشيعة هو الإمامية لما جرى على لسان النبى (صلى الله عليه وآله) من تسمية أصحاب على (عليه السلام) بالشيعة. وإن كان الأل على رأى أهل السنة هو مذهب الإمام أبى حنيفة ثم مذهب الإمام مالك ثم مذهب الإمام الشافعى وبعده مذهب الإمام ابن حنبل وقد كان كل إمام لاحق لا يرى لزوم اعتماد مذهب الإمام السابق عليه وإلا لما خرج عن إطاره بتأسيس مذهب آخر وعلى كل حال فإن الولادة المتأخرة للمذاهب هى موضع وفاق. ولا شك أن الذى كان موجوداً قبل هذه المذاهب هو الإسلام بدون مذاهب وهذا ما نريد أن نرجع إليه ونعتمد عليه.

والقرآن الكريم بما هو المصدر الأول والمرجع الأساس لتعرف الحق والباطل وتمييز الخطأ من الصواب، كانت تحل عقد الإختلاف وتترسخ روابط المحبة والإئتلاف من خلال الرجوع الى القرآن. فتمامية دين الأسلام كانت ثابتة بالكتاب والسنة وهى ليست موضعاً للخلاف بين المسلمين. وإن الصحابة والمجتهدين والتابعين وتابعى التابعين لم يكونوا من المشرعين بل كانوا يحاولون بإجتهادهم الوصول إلى أحكام الله تعالى الثابتة. فلم يصل هذا التعدد فى الآراء درجة المذاهب فى عهد الصحابة و الخلفاء الراشدين.

فالمسلمون بفعل إستجابتهم لنداء الإسلام فقد أصبحوا أمةً واحدة جمعها الإنتماء العقائدى الواحد إلى الرسالة التى ختمت بها الرسالات السماوية، وقد تجسدت وحدتهم وأخوتهم فى النفوس وانعكست سلوكاً حياتياً لهم وأصبحت الوحدة والأخوة من الخطوط العريضة التى شكلت لهم قاعدة إنطلاق فى شتى المجالات والميادين، وركيزة من الركائز التى قام عليها فهمهم لأبعاد الرسالة وأهداف الشريعة السمحاء فكل حكم وكل دعوة لا تلتقى مع الوحدة والأخوة كانت مرفوضة لأنها تخالف مرجعية الانطلاق ومناخ الرسالة العام.

وقد تبدل النزاع بالوفاق، وتحولت العداوة والشحناء إلى المودة والإخاء وانتقلوا من الأفق الضيق إلى الآفاق الرّحبة من التفكير الذى كان يقتصر على الفرد وينحصر بالقبيلة على أبعد الحدود إلى التفكير بحياة الأمة وقضايا الجماعة وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التحول: «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ». (الأنفال: ٦٣)

وقد كانت هذه النعمة جليلة القدر عظيمة الأثر فى تلك الجماعات التى لم تعرف قبل الإسلام معنى الوحدة فى إطارها الشامل إلا من خلال الدعوة الجديدة، وقد أراد الله تعالى منهم أن يبقوا على ذكر من هذه النعمة لتبقى حاضرةً فى أذهانهم ماثلة أمام أعينهم يرجعون إليها أساساً لقوتهم ودعامة لاستمرار مسيرتهم كما فى قوله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَميعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ». (آل عمران: ١٠٣)

وقد أصبحوا بفضل هذه النعمة أصحاب قضية كبرى، وغدوا أصحاب رسالة عظمى، يتحملون أعباءها ويبذلون الأنفس والأموال فى سبيلها، متآزرين متعاضدين فكانوا: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ». (آل عمران: ١١٠) كما وصفهم القرآن أيضاً بأنهم الرحماء بينهم والأشداء على الكفار يبتغون من الله فضلاً ورضواناً.

فعندما تكون الشريعة التى يجب التعبد بأحكامها واحدة ومع ذلك يقع الإختلاف فى النتائج فإنّ هذا الإختلاف يعنى إختلافاً فى المنهج المعتمد لتحديد وسائل الإثبات. إنّ المذاهب ليست قدراً لا يمكن تجاوزه. لايجوز للفقيه أن يتجاوز هذا التوجه العام فى الشريعة ويحكم بتجزئة الأمة وتقسيمها، ويصبح كل حكم يحمل روح التجزئة والإنقسام حكماً مخالفاً لأهداف الشريعة فى روحها وجوهرها.

بفعل الاسلام تبدل النزاع بالوفاق و الإنسجام، وتحولت العداوة والشحناء إلى المودة والإخاء. وأصبحت نعمة الوحدة والأخوة جليلة القدر عظيمة الأثر بفعل الدعوة السمحاء لتلك الجماعات المتفرقة. واستجاب المسلمون لنداء الحياة هذا فكانت لهم الحياة الجديدة وكان لهم الوجود الفعال والمؤثر على صعيد المنطقة والعالم. فاصبح المسلمون أمة واحدة بفعل استجابتهم لنداء الإسلام؛ وكل حكم ودعوة لاتلتقى مع أركان هذه الأمّة الواحدة فهى مرفوضة؛ لأنها تخالف هذا النداء الإسلامى ومناخ الرسالة العام، وأهداف الأسلام السامى.

۱/۳ـ أصل الإجتهاد

يجب إبعاد الحوار الفقهى عن مسائل التاريخ تحكيما للكتاب والسنة بوسائل الإثبات. وتحكيم الكتاب بالسنة؛ لأنّ حجية السنة مشروطة بعدم مخالفة الكتاب. فنحن بحاجة إلى إطلاق العنان لمرجعية القرآن الكريم، نحتاج إلى الكثير من الشجاعة التى تخرجنا عن الفهم الموروث الذى تولّد عبر قرون عديدة؛ مع فتح باب الإجتهاد لا تصح نسبة الرأى إلى المذهب ويصبح المجتهد مسؤولاً عن الرأى الذى ينسب إليه وهو الذى يتحمل المسؤولية عن رأيه وحده وهو إجتهاد محكوم بسقف القرآن الكريم وضرورات الشريعة فلا يجوز الإجتهاد فى مقابل النصوص الدينية الصّريحة ولا يجوز الإجتهاد فى ثوابت الشريعة وما هو من ضرورات الدين. إنّ معرفة شخص ليست ملزمة لشخص آخر مثله بل هى حجّة عليه وله بينه وبين ربّه فقط. فعندما نعتمد مرجعية واحدة فى الفكر والسلوك وهى مرجعية القرآن الكريم سنجد أنّ كثيراً من الفجوات ستردم وتجبر؛ وأنّ كثيراً من المناهج ستعتدل وبذلك ينتهى الخلاف فى أكثر التفصيلات.

ولا شك أنّ الجماعات المختلفة والمتفرقة تحدث لها الوحدة عندما تكون لها القضية الواحدة وعندما تتهيأ لها القيادة الرائدة التى تشكل لها القدوة وتحدث لها الوعى والإيمان من خلال الإلتزام بأعلى الموازين وأدقها، والتحلى بالقيم حينئذ يحدث الإنقلاب فى حياة الأمم والشعوب؛ فكيف إذا كان الكتاب هو القرآن الكريم الذى عبر عن القضية اللازمة ببيان ما بعده بيان وكيف إذا كانت القدوة قد تمثلت بالنبى محمد (صلى الله عليه وآله) الذى ضرب أروع الأمثلة فى الإخلاص والتضحية والثبات على المبدأ. ولقد إستجاب المسلمون لنداء الحياة

المتجسد فی الآیات القرآنیة والسنة النبویة، فکانت لهم الحیاة الجدیدة وکان لهم الوجود الفعال والمؤثر علی صعید المنطقة والعالم.

وقد جرت سیرة السلف الصالح من المسلمین بعد رسول الله (صلی الله علیه وآله) علی إعتماد القرآن مصدراً للتشریع ومرجعاً لمعرفة الأحکام وفصل الخصومات وکانوا عندما یختلفون فی حکم من الأحکام وفی قضیة من القضایا یقول بعضهم للبعض الآخر هل عندك علی ما تقول من کتاب الله آیة أو من سنة نبیه روایة؟ وعند الإطلاع علی أحد الأمرین یحسم النزاع وتنهی الخلاف وکانوا بذلك یجسدون حقیقة إیمانهم بحاکمیة القرآن ورسوله من قوله تعالی: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا یؤْمِنُونَ حَتّیٰ یحَكِّمُوكَ فِیمَا شَجَرَ بَینَهُمْ ثُمّ لَا یجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمّا قَضَیتَ وَ یسَلِّمُوا تَسْلِیمًا». (النساء: ۶۵). وقوله تعالی: «یا أَیهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَیرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلاً». (النساء: ۵۹)

لقد فهموا من الشرط فی الآیة أن الإیمان یکون بالرجوع إلی الله ورسوله والرجوع إلی الله هو الأخذ بکتابه والرجوع إلی رسوله هو الأخذ بسنته الجامعة، وقد أکدت هذا المعنی الکثیر من الأحادیث مثل الحدیث القائل: «إذا إلتبست علیکم الفتن کخیاهب اللیل المدلهم فعلیکم بالقرآن». (علاء الدین علی بن حسام الدین ابن قاضی خان القادری الشاذلی الهندی، ۱۴۱۶ هـ - ۱۹۹۶م، ۲۸۹/۲)

هذه المرجعیة وهذه الحاکمیة للقرآن مع تلك السیرة الصالحة من السلف الصالح علی الرجوع إلیه فی فضّ النزاعات وفصل الخصومات هو الذی حصن الأمة من عوامل التمزق والإنقسام وهو الذی کان یذّکرهم بآیاته المدویة بأنهم إخوان فی دین الله. وبهذا النهج والسلوك کانت تحل عقد الإختلاف وتترسخ روابط المحبة والإئتلاف، فالقرآن عندهم فی موضع القداسة لا یختلفون فی الحق الذی یظهره ولا فی الباطل الذی ینکره. ولیس من طلب الحق فأخطأه کمن طلب الباطل فأصابه علی حد تعبیر الإمام علی (علیه السلام): «فَلَیسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَه كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَه». (الدکتور صبحی صالح، ۱۳۸۷ ق ـ ۱۹۶۷ م، خطبة: ۶۱؛ الشیخ ناصر مکارم الشیرازی، ۱۴۱۱، ۱۳/۱) فکل من بذل وسعه من أجل الوصول إلی الحکم الشرعی الواقعی کان معذوراً علی تقدیر الخطأ مأجوراً علی تقدیر الصواب بل هو بمعنی من المعانی مأجور علی کلا التقدیرین ومثاب فی کلا الحالین.

وفی کلام مأثور عن الإمام مالك أنه قال: >إنما أنا بشر أصیب وأخطئ فاعرضوا قولی علی الکتاب والسنة<. (أبو عمر یوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، ۱۴۱۴ هـ - ۱۹۹۴ م، ۱/ص ۷۷۵، ح۱۴۳۵) وعن الإمام الشافعی أنه قال: >إذا صح الحدیث بخلاف قولی فاضربوا بقولی الحائط<. (عبد الکریم بن محمد بن عبد الکریم الرافعی القزوینی، ۱۴۲۸ هـ - ۲۰۰۷ م، ۱۹/۱) وروی عن الإمام أبی حنیفة قوله: >هذا رأیی وهذا أحسن ما رأیت فمن جاء برأی غیر هذا قبلناه<. (محمد جمال الدین بن محمد سعید بن قاسم الحلاق القاسمی، ۳۵۲/۱) وقد قیل للإمام أحمد بن حنبل: >لم لاتضع لأصحابك کتاباً فی الفقه قال: أو لأحد کلام مع کلام الله ورسوله؟<. (عبد المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علی الشعرانی، ۱۹۷۱م، ص۱۱) وقد ذکر ابن تیمیة فی جواب بعض المسائل: «هؤلاء الأئمة الأربع ـ رحمهم الله تعالی أجمعین ـ قد نهوا الناس عن تقلیدهم فی کل ما یقولون وذلك هو الواجب». (محمد جمال الدین بن محمد سعید بن قاسم الحلاق القاسمی، ۳۵۲/۱)

ومن خلال ما استعرضناه فی البحث قد ظهر جلیاً أن الإختلاف لیس فی الأهداف بل فی الطرق المعتمدة عند کل فقیه ومجتهد فقد یختلف بعضهم عن البعض الآخر فیها وهذا الإختلاف یمکن أن تتقلص مساحته لوجود ضوابط متفق علیها تتحکم فیه وأهم هذه الضوابط هی الکتاب والسنة باتفاق الجمیع فهناك مرجعیة نرجع إلیها عند الإختلاف ویحصل هذا التقریب فی اعتقادی من خلال مراعاة الأمور التالیة:

۱ ـ تجدید النظر فی عملیة إستنباط الأحکام الشرعیة من خلال التأکید علی مرجعیة القرآن الکریم وآیاته المحکمات ومحاولة التعرف علی منهج القرآن فی الإستدلال وطریقته فی الإستنتاج والتطلع إلی الأهداف العامة التی وضعها للشریعة فإنها تشکل الخطوط العریضة التی تحدد مسیر عملیة الإستنباط وتحکم نتائجها کالوحدة التی هی من أسمی أهداف الشریعة کما فی قوله سبحانه وتعالی: «إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُم فَاعبُدونِ». (الأنبیاء: ۲)

۲ ـ إعتماد مفاهیم القرآن الکریم عند النزول ومصطلحاته قبل نشوء المعانی التولیدیة لکثیر من الألفاظ القرآنیة فی العهود المتأخرة عن القرآن سیما عصور المذاهب؛ فإنّ المعانی المقصودة عند النزول هی التی یجب التعبد بها شرعاً وهی التی ینبغی أن تؤخذ فی الإعتبار عند

القيام بعملية إستنباط الأحكام؛ منها عنوان المؤمن وعنوان المسلم وعنوان الأخ وهذه العناوين تشكّل موضوعات لمجموعة من الأحكام الشرعية. ونلاحظ أن هذه العناوين قد أطلقت على أفراد المجتمع الذى آمن بالرسول وصدق برسالته، وليس هناك أى قيد آخر دخيل فى صدق هذه العناوين وانطباقها عليهم فى عصر النزول وهذا الإطلاق يجب أن يؤخذ بنظر الإعتبار عند القيام بعملية الإستنباط وتحديد المفاهيم وإثبات الأحكام لموضوعاتها. هذا ولكننا نرى أنّ كثيراً من الفقهاء عند ممارسة صناعة الإستنباط فى هذه المسألة يقولون أن للمؤمن معنىً إصطلاحياً وكذلك المسلم، فيجعلون الإيمان بالمذهب الذى لم يكن مولوداً عند الإطلاق القرآنى دخيلاً فى صدق عنوان المؤمن وإنطباقه عليه ويرتبون على ذلك الأثر المعاكس فيقولون لا تحرم غيبة من لم يكن مؤمناً بالإصطلاح؛ لأنه ليس بأخ أو ليس بمؤمن فلا تشمله الآية: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا يغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحيمٌ». (الحجرات: ۱۲)

۳ ـ إبعاد الحوار الفقهى عن مسائل التاريخ فلا علاقة لخلاف سياسى بإستنباط الحكم الشرعى فلكلّ منهما إبعاد وسائله كما قال سبحانه وتعالى: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يعْمَلُونَ». (البقرة: ۱۳۴)

۴ ـ فتح باب النظر والإجتهاد لمن هم أهل لذلك كما كان الحال فى صدر الإسلام، فبالإجتهاد المعتمد على الأسس الشرعية ننعتق من رواسب الماضى وينطلق الفكر والعقل فى المجالات الأرحب وعندئذ يحصل التلاقى رغم الإختلاف كما هو حاصل ضمن المذهب الواحد فعلاً. ومع فتح باب الاجتهاد لا تصح نسبة الرأى إلى المذهب ويصبح المجتهد مسؤولاً عن الرأى الذى ينسب إليه وهو الذى يتحمل المسؤولية عن رأيه وحده وهو إجتهاد محكوم بسقف القرآن الكريم وضرورات الشريعة فلا يجوز الإجتهاد فى مقابل النصوص الدينية الصريحة ولا يجوز الإجتهاد فى ثوابت الشريعة وما هو من ضرورات الدين؛ فإنه مهما حصل الإختلاف فى الرأى فلا يصح وقوعه فى أصل وجوب الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد وغيرها من العبادات والمعاملات المعلوم ثبوتها بالضرورة من الدين، فهى من المقدسات التى لا يجوز المساس به.

وإذا كان الإجتهاد وسيلة للعلم والمعرفة فمثل هذه الأمور المعلومة مسبقاً لا معنى لإستخدام الإجتهاد فيها وفيما عدا ذلك؛ فإن معرفة شخص ليست ملزمة لشخص آخر مثله، بل هى حجة عليه وله بينه وبين ربه فقط. ولعلّ الإختلاف المذموم فى القرآن الكريم ناظر إلى هذا النحو من الإختلاف فى الثوابت كما فى قوله سبحانه وتعالى: «كَانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النّبِيينَ مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِ لِيحْكُمَ بَينَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلّا الّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَينَاتُ بَغْيا بَينَهُمْ». (البقرة: ۲۱۳)

تعزيزا لمقام الإجتهاد يقول ابن‌عابدين و ابن‌نجيم المصرى والحصفكى: «لايفتَى بِكُفرِ مُسلِمٍ أمكَنَ حَملُ كَلامِهِ عَلى مَحمِلٍ حَسَنٍ». (ابن‌عابدين، ۱۴۱۵ق ـ ۱۹۹۵م، ج۴، ص۴۱۴؛ ابن‌نجيم المصرى المصرى، ج۵، ص۲۱۰؛ الحصفكى، ۱۴۱۵ق ـ ۱۹۹۵م، ج۴، ص۴۱۴) [۱]

۱/۴ـ التركيز على الأصول الإسلامية

ترتكز العقيدة الإسلامية على أمور معينة تعتبر هى الأصول والأساس الذى عليه يقوم بناء الدين، وعلى المسلم الإعتقاد بها وعدم التقليد فيها، وهى:

(۱) التوحيد: وهو أن الله سبحانه واحد أحد لا شريک له، هو الخالق وهو المبدئ وهو المعيد وهو الرب العزيز الجبار. كما قال تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». (آل عمران: ۱۸)

(۲) العدل: وهو الإعتقاد بأنه سبحانه وتعالى عادلاً قد وضع الأمور فى مواضعها وأعطى كل شىء حقه، وأنه سبحانه وتعالى يستحيل عليه الظلم وفعل القبيح. وقد وقع الخلاف حول هذا الأصل بين المسلمين فذهبت الشيعة الإمامية إلى إعتباره أصلاً عقائديا فالعقل حاكم بقبح

---

[۱]. ومنهم من إعتقد بشروط لتحقق إسلام كل شخص بما ياتي:

۱ـ «الإسلامُ هُوَ الإقرارُ بالشَّهادَتَينِ، وَهُوَ الَّذي يُحقَنُ بِهِ الدِّماءُ والأموالُ، وَمَن قالَ: "لا إله إلا الله وَ محمدٌ رسولُ الله" فقد حُقِنَ مالُهُ وَدَمُهُ إلاَّ بِحَقِّهِما». (الشيخ الصدوق، ۱٤۱۸ق، ص٥٥)

۲ـ «إذا أقرَّ وَلَدُ الكافِرِ بِالاسلامِ وَأجرى الشَّهادَتَينِ على لِسانِهِ فَلا مُحالَةَ يَحكُمُ بِطَهارَتِهِ وَإسلامِهِ لاطلاقِ ما دَلَّ على تَحَقُّقِ الاسلامِ بِالاقرارِ بِالشَّهادَتَينِ» (السيد الخويي، ۱٤۱۰ ق، ج۲، ٦٧)

۳ـ «إنَّهُ يَكفِي فِي الايمَانِ الاقرارُ بِالشَّهادَتِينِ وَلا يَلزَمُ التَّبرِيُ مِن سَائرِ الأديانِ». (الكحلاني، ۱۳۷۹ق ــ ۱۹٦۰م، ج٤، ص۱٥۳)

صدور القبيح عنه سبحانه وتعالى وبحسن صدور الحسن، ومن ذلک أنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة؛ فالظلم قبيح فمن المستحيل أن يصدر عنه سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللّهَ يأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَ إِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَ ينْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْى». (النحل: ۸۱)

(۳) النبوة: وهی الإخبار عن الله تعالى، حيث أرسل الله سبحانه وتعالى رسلاً من بنی آدم يهدون الناس ويعلمونهم ويأخذونهم على طريق العبادة والإستقامة. وأنّه سبحانه وتعالى بمقتضى لطفه بعباده وحكمته قد بعث الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، فقال سبحانه وتعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيعْبُدُونِ». (الذاريات: ۵۶) وإن هذه العبادة بحاجة إلى مرسل يقوم بالتعليم والتزكية والهداية حتى يتم الحجة على العباد، وإنهم معصومون.

(۴) المعاد: وهو الإعتقاد بأن الله سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ويكون ذلک للحساب والجزاء على الأعمال، حيث يبعث الله سبحانه الناس ويحشرهم جميعًا. «رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيوْمٍ لَّا رَيبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يخْلِفُ الْمِيعَادَ». (آل عمران: ۹)

(۵) فروع الدين: وهی التكاليف المفروضة على المسلم التی يجب عليه تأديتها قربة إلى الله، وهی ترجمة عملية للعقيدة تؤدی بشكل واجبات، ومنها: الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهی عن المنكر.

على هذا الإعتبار يقول رشيد رضا فی كلامه الذهبی تعريفا لمهمة التقريب: «نَتَعاوَنُ فِيمَا اِتَّفَقنَا فِيهِ وَ يعذِرُ بَعضُنا بَعضاً فِيمَا اِختَلَفنَا فِيهِ». (صالح‌بن‌فوزان، ۱۴۲۳ق؛ ج۲، ص۱۳۵؛ القفاری، ۱۴۲۸ق، ج۲، ص۲۲۸) [۱]

---

[۱]. وكثير من كبار العلماء ذهبوا إلي مقالة رشيد رضا:

۱ ـ «محاولة جادة لتعزيز الروابط بين أتباع هذه المذاهب من خلال تفهّم الإختلاف الواردة بينها ونزع آثاره السلبية وليس إزالة أصل الإختلاف من البين». (محمدتقي القمي، خسرو شاهي، قصة التقريب، ۱۳۸۶ق، ص۱۵)

۲ ـ «التقريب يعني أن يتحد المسلمون علي أصول الإسلام وأن يعذّر بعضهم بعضاً في أفهامهم ما دامت تحتمل ذلک وهو دعوة إلي التعاون علي البرّ والتقوي لإصلاح المسلمين». (علاءالدين الزعتري، مجلة رسالة التقريب، ش ۴۹، ۱۳۸۵ش)

۳ ـ «إنّما المراد من التقريب، هو التقريب بين القادة للمذاهب وبالتالي بين القادة وأتباعهم وذلک من خلال رسم الخطوط العريضة المشتركة التي تجمع المذاهب الإسلامية في مجالي العقيدة والشريعة وأنّه لو كان هناک خلاف فيهما ⇦

۲ـ قراءة التقريب من منطلقٍ تعددی

التعدديـة (Pluralism) بمعنـی الميـل و الإعتـراف بـالكثرة (جمـع = Plural) و لهـا إستعمالات متعددة فی ميادين مختلفة (كفلسفة الدين، و فلسفة الأخـلاق و الحقـوق و السياسـة و...) و القاسم المشـترک بـين جميـع الإسـتعمالات هـو الإعتـراف بـالكثرة مقابـل الوحـدة أو الإنحصار.

أما التعددية الدينيـة (Religious Pluralism) فمعناهـا أن الحقيقـة و الفـلاح لا تنحصـر بدين خاص واحد، و أن جميع الأديان تنطوی على شیء من الحقيقة، و نتيجة ذلک إنّ إتباع أی دين من هذه الأديان المتعددة يوصل إلى الفلاح و النجاة. و على هـذا الأسـاس يمكـن إغـلاق أبواب النزاع بين الأديان على خلفية الحـق و الباطـل، و باعتقـاد التعدديـة أنّ النزاعـات الدينيـة و الاقتتال المذهبی يمكن إستبداله بالمحبة و الأخوة و السلام بين مختلف الأديان والمذاهب.

ملخّص عن تاريخ التعددية الدينية

طرحت فكرة التعددية الدينية فی البداية من قبل العالم المسيحی و فی العقود الأخيـرة علـی يد (جان هيک)، يقول هيک: >إن إصطلاح تعدد الأديان فی نظر الخبراء هو عبارة عن أمر واقعـی متمثل فی القول أنّ تاريخ الأديان حاکٍ ومبين تعدد السنن وكثرة المتفرقات فی كـل واحـد منهـا. وفی نظر الفلسفة فإن هذا الاصطلاح ناظر إلى نظرية خاصـة مـن العلاقـات والـروابط بـين السـنن، حسب دعاواها المختلفة مع منافسيها<. و يقول أيضـا: >الأديـان المختلفـة هـی معطيـات متفاوتـة للتجربة الدينية، التی بدأت كل واحدة منها فی مقطع زمنی خاص من تاريخ البشـر، و قـد زرعـت وعيها العقلی فی داخل فضاء ثقافی معين<. (جان هيک، ۱۹۷۷ م، ترجمة بهرام راد، ص۲۳۸)

فهو بالنسبة إلي الأمور المتفق عليها قليل جداً» (ابن‌البطريق، ١٤١٧ق، مقدمـة كتـاب خصـائص الـوحي المبـين بقلـم الشيخ السبحاني)

٤) «التقريب هو التأكيد على المشتركات، وقبول العذرفي المفترقات على مبنا للمصيبِ أجرانِ وللمخطئ أجرٌ واحدٌ». (واعظزاده الخراساني، مجلة مشكوة، شمارة ٢٨، ١٣٦٩ش)

٥) «التقريب هو تقارب أصحاب المذاهب بهدف معرفة المشـتركات، وتوسـع هـذه المشـتركات بهـدف الوصـول إلـى الأخوة الدينينة من منطلق الأصول الإسلامية؛ وقبول العذرفي المفترقات». (التسخيري، تقريب در انديشه‌ها و وحـدت در عمل، ص٩٤).

فالتعددية على هذا الإصطلاح يمكن تصورها بين الأديان، و تعنى إعتبار جميع الأديان على أنّها حق أو أنْ نعتبر كلّ واحد منها يشتمل على بعض الحقيقة، وهى وجوه متعددة لحقيقة واحدة ترمز إلى غاية إلهية واحدة. و بهذا المعنى يمكن تصور التعددية بين الفرق المختلفة فى داخل الدين الواحد، فنقول أن كل واحدة منها يمكن أن تكون صاحبة حق، و مثاله: السنة و الشيعة كفرقتين وجدتا داخل الدين الإسلامى، و إن كل واحدة منهن تعتبر نفسها هى الدين الخالص، و لكن بحسب التعددية فإن كل فرقة يمكن أن تكون على حق، أو أن نقول أن كل فرقة تشتمل على بعض الحق، و بعبارة أخرى، فإن التعددية الدينية يمكن أن تقسم إلى خارجية و داخلية.

التعددية الدينية لا تحظى بتأييد القرآن الكريم

ومّما نراه فى التصريحات القرآنية من تأكيداته سبحانه وتعالى: أنّ للإنسان إلهاً واحداً ومعاداً واحداً وصراطاً واحداً، ولهذا الصراط شعب تسمى المنهاج والشريعة تختلف من أمة إلى أخرى؛ ولذا تختلف الفروع فى دين عيسى (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) والنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ لأن أصول الدين غير متباينة، فلا وجود للتعددية فى الدين.

ومن جانب آخر نرى أنّ من خصائص الدّين الإسلامى أنّه دين متجدّد تواكب نصوصه الشّرعية باستمرار ما يستجدّ فى الحياة من أمورٍ وأحداث، فالدّين الإسلامى ليس ديناً غير متفاعل مع متغيرات الحياة ومستجدّاتها، وهذه من سمات الكمال فى هذا الدّين العظيم.

ولكن مفهوم التّجديد فى الشّريعة الإسلامية لا يعنى إحداث البدع فى الدّين؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد بعث رسوله بالدّين الكامل الشّامل الذى عالج بأحكامه وتشريعاته جميع جوانب الحياة الإنسانية، وبالتّالى لا يحتاج إلى أصول أو مسائل مبتدعة، وإنّما يحتاج إلى التّجديد بمعناه ومفهومه الحقيقى الذى أراده النّبى (صلى الله عليه وآله) فى الحديث الصّحيح (من تطبيق أصوله على الفرعيات، والتفاعل مع المستجدّات)، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». (محمد بن عبد الله الخطيب العمرى، ١٩٨٥م، ١/ ص٨٢، ح٢٤٧)

ووفق هذا المعنى فإنّ التّجديد الحقيقى يتضمن ما يأتى:

۱ـ إعادة الرّونق لهذا الدِّين العظيم

ينبغى أن يكون حاملوا رسالة تبليغ الدين الإسلامى قادرين على إيصاله فى أحسن صورة: بامتلاكهم لمهارات الدّعوة، وبقدرتهم على فهم طبيعة الشّخصية الإنسانية وما يناسبها من منهج وأسلوب، ومن هذا المنطلق كان النّبى (صلى الله عليه وآله) يردّد على مسامع أصحابه حينما كان يبعثهم رسلاً إلى النّاس بقوله «**بشّروا ولا تنفّروا**»، (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى، ۱۴۲۱ هـ - ۲۰۰۱ م، ۳۲/ ۳۴۲) أو نهيه الصّحابى الجليل معاذ بن جبل حينما أطال فى الصّلاة بالنّاس بقوله: «**يا معاذُ! أفتّانٌ أنت**»؟ (الشافعى أبو عبد الله محمد بن إدريس، ۱۴۰۰ هـ ص: ۱۵۰؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى، ۱۴۲۱ هـ - ۲۰۰۱ م، ۲۷۳/۱)

۲ـ المواكبة مع المستجدّات

طبيعة الحياة البشرية متغيرة ومتطوّرة على الدوام، وبالتّالى من الضرورى إعادة قراءة النّصوص الشّرعية بما يتلاءم مع هذه المستجدّات، ووفق الأصول المعتمدة فى الإجتهاد، وبعيدة عن الهوى والآراء الشّخصية.

۳ـ إزالة الخرافات

ومن المأكد، إزالة ما علق بالإسلام من تصوّرات خاطئة ومفاهيم مغلوطة، وتطبيقات منحرفة؛ ليظل هذا الدّين ناصعاً واضحاً بأحكامه وتشريعاته كما أنزل، كالجهاد الذى تعرّض إلى التّشويهات الكثيرة والتّحريفات المغيرة على يد عدد من المسلمين والأعداء. فيكون التّجديد هنا من خلال بيان حقيقة مفهوم الجهاد وأحكامه فى الإسلام البعيدة كلّ البعد عن العنف والشّدّة و ما إتهموا به الإسلام من أنّه دين الدم والقتل. (www.feqhup.com,ifi)

فإذا كان هذا هو المفهوم الصحيح من التجدد فى الشريعة الإسلامية: من حفظ الأصول والقواعد الإسلامية على ما هى عليها، والتدخل بالتغيير فى المفردات غير الثابتة، او بالتطبيق للأصول على الفروع المستحدثة؛ فلو كان هناك فرق فهو على المستوى المنهجى والطريقى الذى لايعمل كفارق أساسى يخلق مذاهب بحيث يقع كل منها مقابل الآخرين. فلا يبقى مجال للذهاب إلى تفريق دين الإسلام إلى مذاهب، ثم القول بأنّ كل منها يكون على حق، أو أن نقول أن كل فرقة تشتمل على بعض الحق، إذا قلنا بشمول التعددية الدينية لتعددية فى داخل الدين الواحد أيضا؛ لأنّ هذا يتنافى مع ما هو مسلم من إبتناء الشريعة الإسلامية على أصول

وقواعد ثابتة اولا، وشاملة لكل مسلم ثانيا، كما هذا هو المقصود من وحدة الأديان السماوية لإشتراكهم فى أصول الأديان من التوحيد والنبوة والمعاد.

۳ـ قراءة التقريب من منطلقٍ علمانى

و ممّا يحيده التاريخ الإسلامى: أنّ الإسلام و معتنقيه منذ ظهوره وتقدمه، كانوا مرهونا لهجمات عنيفة قاسية لا ترضى إلاّ بالقضاء على الاسلام و المسلمين. وقد صار الإسلام مرارا عرضة لتحريف الغالين و تأويل الجاهلين و إنتحال المبطلين؛ والمسلمين صاروا غرضا للقتل و الطرد و التشريد و نهب أموالهم من قبل الأجانب، الذى أدّى الجميع بتعريف الإسلام و أتباعه بوجه مشوّه كلّ البعد عمّا عليه الإسلام من الحقيقة الراقية، والمسلمين بأنّهم أمّة وسطا لايظلمون ولايظلمون. و هذه الهجمات العنيفة من قبل الأعداء لا تكاد تنتهى بل إنّها لاتزال متواصلة لاانقطاع لها كما قال سبحانه وتعالى: «وَلَايَزَالُونَ يقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا». (البقرة: ۲۱۷) ومن الحملات التى تستهدف القضاء على روح الإسلام، هى حركة العلمانية.

ما هى العلمانية؟

هذه المفردة إمّا بفتح العين فتكون بمعنى العالمية، أو بكسر العين كما هو المشهور فتكون مشتقة من العلم. و تبدو لأول وهلة للناظر فيها أنها مبالغة فى الإهتمام بالعلم و العلماء، ولكنها حينما تكون وسيلة من وسائل الغرب لتغريب المسلمين فإنّ الأمر يصبح غير ذلك ولا تبقى على ظاهرها لفظا و معنى؛ لذلك أجمع الكثيرون من روّاد الفكر الإسلامى على أنّ العلمانية ترجمة للمفردة الإنجيليزية (secularism) يعنى اللادينية؛ فلا علاقة للمفردة العلمانية بالعلم وعلاقتها بالدين على أساس سلبى وهو فصل الدين عن الدولة، أو عن مجالات الحياة كلها السياسة و الإقتصادية والإجتماعية والفكرية؛ وهى فى الحقيقة حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الإهتمام بالآخرة والمعنوية إلى الإهتمام بالدنيا والمادة وحدها. (wikipedia)

سبب نشأتها

كان السبب الأول لنشأة هذه الحركة، هو أنّ مع نهاية القرن العاشر الميلادى وصل طغيان رجال الكنيسة وإنحرافهم فى أروبا إلى حدّ لاتطيقه فطرة البشر، وهؤلاء قد وقفوا ضد التحضر والتقدم فى الغرب زاعمين أنّ دينهم المحرّف يحرم العلم التجريبى والإكتشافات الناتجة عنه، ثمّ بعد مدة قام الذين تأثروا بالحضارة الإسلامية التى كانت مزدهرة فى أندلس وتحمل رايات العلم والفكر، فأخذ هؤلاء يحاربون الكنيسة و أعلنوا كشوفاتهم العلمية التى تحرمها الكنيسة و احتدم الصراع و مكث قرونا وانتهى بأول إنتصار حاسم لإعداد الكنيسة أثناء الثورة الفرنسية ثم عزلت الثورةُ الدينَ النصرانى عن الحياة و عن الدولة، و هذا كان طبيعيا أن تعزل الثورةُ الدينَ النصرانى؛ لأن التعاليم النصرانية قد صارت بالتحريف طقوسا جامدة لا تحمل رسالة خاصة، اضافة إلى ذلک أن رجال الكنيسة قد طغوا فى سلطتهم و حاربوا العلم و التقدم. ثم هذه الثورة سرت إلى كل الغرب شيئا فشيئا وأصبح أروبا يحمل شعارات الإلحاد و الفوضى الأخلاقية عنادا للكنيسة و رجالها.

العلمانية أسهل طريق للقضاء على روح الإسلام

و لما أدرک أعداء الاسلام أنّه لا أمل فى القضاء على روح الإسلام أيضا ما دام المسلمون يطبقون إسلامهم تطبيقا عمليا فى الحياة كلها، فحاولوا إقصاء الشريعة الإسلامية عن كافّة مجالات الحياة، و الإستعاضة عن ذلک بالقوانين الوضعية المقتبسة من أنظمة الكفار، وإبعاد الإسلام عن التطبيق العملى واعتبروا الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفا ورجعية، وقالوا إنّ التمسک بالإسلام تخلف عن العلم والتقدم كأنه يحاربهما تماما؛ و ما يريدون بهذا إلا هدم العقيدة الإسلامية. (wikipedia)

الصراع بين الفكرة العلمانية والفكرة الإسلامية

بين الإسلام والعلمانية تعارضا تامّا فلا وجه للمقارنة بينهما؛ لأنّ العلمانية من وضع البشر وهم يخضعون للأهواء والشهوات والإسلام نظامٌ شرّعه ربُّ البشر، كما قال (صلى الله عليه وآله): «الإسلام يعلو ولايعلى عليه». (الشيخ الصدوق، ۱۴۰۴ ق، ۳۳۴/۴)

و ما ادعاه هؤلاء العلمنة من أنّ التمسک بالإسلام تخلفٌ عن العلم و التقدّم فهو يخالف واقع الأمر تماما، و الإسلام براء من هذا الإفتراء، بل نجد هناک دعوة جادّة من الإسلام للرقی فی العلم و التقدّم و الإکتشاف النافع، و علیه أکد کثیر من الآیات القرآنیة والأحادیث النبویة، فأول ما نزل یبدأ بالقرائة، ویبجّل القلم و ما یکتب، إشارة إلی إهتمام الإسلام البالغ بالعلم؛ فقال تعالی: «إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ». (القلم: ۱ـ ۴)

والعلم من رؤیة الإسلام یشمل العلوم الدینیة والعصریة جمیعا و التی تحتاج إلیها البشریة فی حیاتها المتطورة، للوصول إلی الهدایة التی هی الهدف السامی من نزول القرآن: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيبَ فِيهِ هُدًی لِلْمُتَّقِينَ». (البقرة: ۲)

ثم لابد أنْ ننتبه بأنّ الظروف التی أنشأت العلمانیة فی أروبا، لا تنطبق علی الإسلام أصلا وأنّ بین تعالیم الدین النصرانی و تعالیم الإسلام بون شاسع و أین تقعان معاندین و شتان بینهما، إذ لیس فی الإسلام أحکام إنقضی زمانها، بل إنّ ما فیه حی دائما، صالح للتطبیق فی کل زمان و مکان، بل الذی سبب بقاء الاسلام بلا أی تحریف و خلل مع ما واجهته هجماتٌ قویةٌ عبر العصور هو الحیویة الکامنة فی وضع الإسلام؛ وهذا هو معنی الخاتمیة لهذا الدین السماوی.

و لکن من المأسف، مع ما سالفناه من تمامیة دین الإسلام و خاتمیته أنّ بعض أدعیاء العلم من المفکرین الإسلامیین الجدیدین و الدول الإسلامیة قد إختفی علیهم الأمر فلبّوا نداء العلمانیة منبهرین بشعارها و هذا یرجع إلی إنحرافهم عن العقیدة الإسلامیة و تأثّرهم بتقدم الغرب فی مضمار العلم المادی، فهؤلاء ساروا خلف رکاب الغربین دون وعی و تیمییز بین ما صفا منهم و ما کدر، فخلطوا الغث بالثمین، و لم یدقّقوا آثار العلمانیة فی الحضارة الغربیة و غیرها، التی نراها قد أدّت إلی مشکلات و معضلات کثیرة.

العلمانیة فی الحضارة الغربیة مع تقدمها المادی المبهر المبحت، أنّها فشلت من أنْ تقدّم للبشریة السعادة و الطمأنینة، بل العکس من ذلک قد قدّمت هناک مزیدا من البؤس و القلق؛ لأنّ الطمأنینة من أمور تتعلق بالروح و الروح لا یشبعها إلاّ الأنس بخالقها و تطبیق أوامره فی مجالات الحیاة. یقول ابن القیم الجوزیة فی مدارج السالکین: «فی القلب شعث أی تفرق، لا یلمه إلا الإقبال علی الله و فیه وحشة لا یزیلها إلاّ الأنس بالله». (ابن قیم الجوزیة، ۱۴۱۶ هـ - ۱۹۹۶م، ۹۵/۳) وهذا إشارة إلی قوله تعالی: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ». (الرعد: ۲۸)

والذی نحن بصدد إنجازه فی فکرة التقریب بین المذاهب الإسلامیة هی: حلّ المشاکل بالتمسك بالقوانین الإسلامیة الکاملة، الناظرة إلی الدنیا والآخرة. و أما الذی العلمانیة تریده هو إمحاء صورة المشکلة لا إرائة حلّ لها؛ حیث یرید العلمانیون طرد الإسلام و إقصاءه عن ساحة الحیاة بالمرة، وحصره فی زاویه ضیقه منها، و إنّها ضد الدین؛ لأنّها ترید أن تاخذ منه ما یوافق هواها وتعرض عمّا یخالفه، ولأنّها تومن ببعض الکتاب وتکفر ببعض: «إِنَّ الَّذینَ یکفُرونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ یریدونَ أَن یفَرِّقوا بَینَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ یقولونَ نُؤمِنُ بِبَعضٍ وَنکفُرُ بِبَعضٍ وَ یریدونَ أَن یتَّخِذوا بَینَ ذٰلِکَ سَبیلًا». (النساء: ۱۵۰)

فالحاصل أنّ العلمانیة مرفوضة فی الإسلام، سواء کانت بمعنی فصل الدین عن شئون الحیاة أو عن الدولة، و هی تعنی الحکم بغیر ما أنزل الله فالدولة فی الإسلام أیضا ضرورة لابدّ منها و إلاّ فیصبح کثیر من الأحکام الشرعیة حبرا علی الأوراق فقط، و قد شاهدا التاریخ نماذج رائعة فی التطبیق العملی للإسلام عبر العصور. فنهیب بکل شابّ یهمّه أمر دینه و أمّته أنْ یطلع علی هذه الجاهلیة و مفاسدها لیکون علی بصیرة بما یحاک من مؤامرات له و لأمته بل للبشریة کلها من قبل أعداء الله و رسوله، فنرجوا یوما أنْ ترجع فیه الأمة الإسلامیة وحکامها إلی ماضیهم المشرق المزدهر، و یطبّقوا الإسلام فی شؤون الحیاة کلّها.

ثقتنا بإمکانیاتنا لتأسیس الأمة الإسلامیة الواحدة

إنَّ ههنا ما یزید رجائنا، ویضاعف ثقتنا، ویقوی عزمنا، ویشرح صدرنا لما یستقبله العالم الإسلامی من الإشعاع والفلاح، والتقد~م والعطاء من البشائر التی تجمعها وعود الکتاب والسنة ممّا تکمن فی جوهر الإسلام من القیم التی ترشدنا إلی تمام الکمال. وبجنب هذه جمیعا ما فی الشعوب الإسلامیة وخاصة الجیل المثقّف الملتزمین بالتقدم المادی والمعنوی معا، ولاسیما بعد الصحوة الإسلامیة التی حدثت علی أیدی المثقفین من الشباب رجاء للحصول علی التقدّمات المادیة والمعنویة، لیحرّروا من أیدی سلطات الأجنبیة.

و لاسبیل لتحقیق هذا الأمل إلاّ من طریق الرؤیة الدینیة التی ترتقی بالإنسان الی مکانة رفیعة، کما إنطلقت قبل أکثر من ألف عاما فی منطقة الجزیرة العربیة، و من أرض یثرب بالذات، أکبر عملیة حضاریة علی ید النبی الأعظم (صلی الله علیه وآله). بدأت بقیام دولة صغیرة مبارکة متکاملة فی أسسها و مکوناتها الجوهریة، و نمت، و تعالی صرحها مع مرور الزمن حتی شملت مساحة کبیرة،

و ألقت بظلالها على شعوب عديدة مختلفة الأعراق و اللغات. و هذا هو ما حير الدارسين لظاهرة هذه الحضارة بأنّه كيف إستطاع النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) أن يبنى من العرب الذين كانوا يفتقرون الى أبسط مفردات الحضارة، أمة متحضرة رائدة و قائدة.

و بالتالى كيف تمكن القرآن الذى واجه فى بدء نزوله موقفا سلبيا حادّا و متشدّدا من المجتمع الغارق فى الجاهلية، من تحقيق تلك الإنطلاقة الحضارية العملاقة فى أحضان ذلك المجتمع بالذات. (http://www.maarefquran.org)

۴ـ قراءة التقريب من منطلقٍ أُحادى

تعدّ الحوافز من أهم الأنشطة أو الوسائل التى يمكن بواسطتها التأثير فى الفرد والمجتمع بشكل مباشر بحيث ترفع مستواهم و مستوى إنتاجيتهم, وهى تعدّ من العوامل التى تثير الرغبة لديهم, وتحثّهم على العمل والإنتاج. وتستخدم أنواع متعددة من الحوافز التى يمكن تصنيفها بطريقتين: الحوافز المادية والحوافز المعنوية.

واليوم كثير من المفكرين الغربيين يريدون أنْ يجمعوا الناس بحوافز أكثرها مادية أو ذات رؤية مادية بحتة. كالإتحاديات الموجودة فى العالم المبنية على الأسس الإقتصادية أو السياسية أو العسكرية، و فى ذات الوقت يتغافلون عن الأبعاد الروحية والمعنوية للإنسان والمجتمع. والذى نحن بصدده فى فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية هى: جمع المسلمين على أسس مادية و معنوية، تطبيقا للرؤية الإسلامية الجامعة لما يحتاجه الإنسان من الماديات والمعنويات.

فالرسالة الإسلامية تعدُّ رسالةً عالميةً فى جميع مقوّماتها الفكرية والإجتماعية والسياسية، وهى لا تختصُّ بشعب دون شعب، ولا بطبقة دون أخرى، ولا بإقليم دون آخر؛ ولا ترى المجتمع وضروراتها وإحتياجاتها برؤية أحادية، بل هى رسالة عالمية شاملة، تخاطب كلَّ الأمم والطبقات، وشاملة لجميع الأجيال المتلاحقة فى كلّ الأمصار والأعصار. فهى رسالة عالمية منذ إطلاقها الأولى، كما نلاحظ فى الآيات النازلة فى مكّة، حيث تشير إلى بعثة الرَّسول (صلَّى الله عليه وآله) إلى العالم. وهذه العالمية للرسالة تتطلّب من جميع المسلمين الانطلاق مع الأفق الأرحب للروابط والعلاقات مع الآخرين، من دون ظلم لأحد ولا طغيان. و لعل إلى هذا تشير الآية القرآنية: «رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً». (البقرة: ۲۰۱)

النتيجة

والذى يصل إليه المراجع للمصادر الإسلامية ومنها القرآن الكريم: أنّ للإنسان إلهاً واحداً، ومعاداً واحداً، وصراطاً واحداً؛ وإنْ تشعَّب هذا الصراط إلى مناهج وشرائع تختلف من أمة إلى أخرى، الموجب لإختلاف الفروع فى الأديان، ولكن أصول الأديان غير متباينة، فلهذا التعبير بالأديان فيه مسامحة بينة.

ومن جانب آخر نرى أنَّ من خصائص الدِّين الإسلامى أنَّه دين متجدِّد تواكب نصوصه الشَّرعية باستمرار ما يستجدُّ فى الحياة من أمور وأحداث، فالدِّين الإسلامى ليس ديناً غير متفاعل مع متغيرات الحياة ومستجدَّاتها، وهذه من سمات الكمال فى هذا الدّين العظيم. ولكن بعض أصحاب هذه الأفكار الخاطئة كالتَّعددية، والعلمانية والأُحادية وما إليها سعوا فى تغيير رؤية المسلمين بالنسبة إلى دينهم ودنياهم إلى رؤية مبتنية على مبادئ غير إسلامية؛ بهدف تغيير ما يترتب عليها من أحكام و نتائج تتنافى مع أهدافهم السيئة.

فمفهوم التّجديد فى الشّريعة الإسلامية خلافا للتَّعددية لا يعنى إحداث البدع فى الدّين الذى أرسل فى أكمل صورته الممكنة لعالج جميع جوانب الحياة الإنسانية، وبالتّالى لا يحتاج إلى أصول مبتدعة، وإنّما يحتاج إلى التّجديد بمعناه الحقيقى من تطبيق أصوله على الفرعيات، والتفاعل مع المستجدّات.

كما أنَّ بين الإسلام والعلمانية تعارض تامّ لايقبلان المقارنة ؛ لأنّ العلمانية من وضع البشر وهم يخضعون للأهواء والشهوات والإسلام نظامٌ شرّعه ربُّ البشر، وأتى به النبى الأعظم الذى لاينطق عن الهوى. وأيضا ما إدَّعته العلمنة من تخلفٌ الإسلام عن العلم و التقدّم فهو غير واقعى؛ لما فى الإسلام من دعوة جادّة للرقى فى العلم و التقدّم و الإكتشافات.

وأمَّا الرسالة الإسلامية فى جميع مقوّماتها الفكرية والإجتماعية والسياسية لا تختصُّ بهذا دون ذاك، أو بهؤلاء دون الآخرين؛ أو بمتطلبات المجتمع المادية دون المعنوية كما فى الرؤية الأحادية. بل هى رسالة عالمية شاملة، تخاطب كلَّ الأمم والطبقات، وشاملة لجميع الأجيال المتلاحقة فى كلّ الأمصار والأعصار؛ خلافا للرؤية الأحادية المتعصبة على حوافز أكثرها مادية، أو ذات رؤية مادية بحتة.

المصادر

۱ـ القرآن الكريم.

۲ـ صالح بن فوزان.۱۴۲۳ق. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**. الطبعة الثالثة. بيروت. مؤسسة الرسالة.

۳ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى. ۲۰۱۰ م. **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. الطبعة الخامسة. دمشق. دار القلم للطباعة والنشر.

۴ـ ابن‌نجيم، مصرى. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**. الطبعة الثانية، بيروت. دار الكتاب الإسلامى.

۵ـ مسعودى، أم الخير. ۲۰۱۸ م. **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**. العدد ۹. عمان. جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية.

۶ـ الترمذى، محمد بن عيسى. ۱۹۹۸ م. **سنن الترمذى**. بيروت. دار الغرب الإسلامى.

۷ـ المصرى، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم. ۱۴۱۶ هـ - ۱۹۹۵ م. **الجامع فى الحديث لابن وهب**. الطبعة: الأولى. الرياض. دار ابن الجوزى.

۸ـ حصفكى. ۱۴۱۵ق ـ ۱۹۹۵م. **الدّر المحتار**. بيروت. دارالفكر.

۹ـ مكارم الشيرازى، ناصر. ۱۴۱۱ هـ. **القواعد الفقهية**. الطبعة: الثالثة.

۱۰ـ الشافعى، أبو عبد الله محمد بن إدريس. ۱۴۰۰ هـ. **المسند**. بيروت. دار الكتب العلمية.

۱۱ـ واعظ زاده الخراسانى، محمد. ۱۳۷۹ش ـ ۱۴۲۱ق. **الوحدة الإسلامية عناصرها وموانعها**، الطبعة الأولى. المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

۱۲ـ الحكيم، السيد محمد باقر. ۱۹۹۶م ـ ۱۴۱۷ق. **الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين**. رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

۱۳ـ الشيخ الصدوق، محمد بن على بن الحسين. ۱۴۱۸ق. **الهداية**. قم. مؤسسة امام هادى.

۱۴ـ تسخيرى، محمدعلى. ۱۳۹۱ش. **تقريب در انديشه و وحدت در عمل**. مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى. معاونت فرهنگى.

۱۵ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم. ۱۴۱۴ هـ - ۱۹۹۴ م. **جامع بيان العلم وفضله**. العربية السعودية. الطبعة: الأولى. دار ابن الجوزى.

۱۶ـ ابن‌عابدين. ۱۴۱۵ق ـ ۱۹۹۵م. **حاشية ردّ المحتار**. بيروت. دارالفكر.

۱۷ـ الألوكة الشرعية، ۱۶-۱-۲۰۱۶. **خطبة عن فضل التعاون فى الإسلام**.

۱۸ـ الكحلانى. ۱۳۷۹ق ـ ۱۹۶۰م. **سبل السلام**. مصر. الطبعة الرابعة. مصطفى البابى.

۱۹ـ الرافعى القزوينى، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم. ۱۴۲۸ هـ - ۲۰۰۷ م. **شرح مسند الشافعى**. قطر. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية. الطبعة: الأولى.

۲۰ـ جان هیک، ترجمه بهرام راد. ۱۹۷۷ م. **فلسفه دین**. Pergamon Press Oxford ، شماره راهنمای کنگره: BL۵۱ /۹۰ ف۸.

۲۱ـ الخسرو شاهی، هادی. ۱۳۸۶ ق. **قصة التقریب** (أمة واحدة، ثقافة واحدة)، محاطات من أفکار الشیخ محمد تقی القمی. طهران. المجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الإسلامیة.

۲۲ـ الحلاق القاسمی، محمد جمال الدین بن محمد سعید بن قاسم. **قواعد التحدیث من فنون مصطلح الحدیث**. بیروت. دار الکتب العلمیة.

۲۳ـ الخویی، السید ابوالقاسم. ۱۴۱۰ ق. **کتاب الطهارة**. قم. الطبعة: الثالثة، دارالهادی.

۲۴ـ الشعرانی، عبد المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علی. ۱۹۷۱م. **کشف الغمة عن جمیع الأمة**. بیروت، دار الکتب العلمیة.

۲۵ـ الشاذلی الهندی، علاء الدین علی بن حسام الدین ابن قاضی خان القادری. ۱۴۰۱هـ ـ ۱۹۸۱م. **کنز العمال فی سنن الأقوال والأفعال**. بیروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الخامسة.

۲۶ـ مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. **مجلة رسالة التقریب**. ۱۳۸۵ ش.

۲۷ـ القفاری، ناصر بن عبد الله بن علی. ۱۴۲۸ ق. **مسألة التقریب بین أهل السنة والشیعة**. الطبعة الثالثة. دار طیبة.

۲۸ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشیبانی. ۱۴۲۱ هـ - ۲۰۰۱ م. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولی.

۲۹ـ الخطیب العمری، أبو عبد الله ولی الدین التبریزی. ۱۹۸۵م. **مشکاة المصابیح**، بیروت. المکتب الإسلامی. الطبعة: الثالثة.

۳۰ـ ابن قیم الجوزیة. ۱۴۱۶ هـ - ۱۹۹۶م. **مدارج السالکین بین منازل إیاك نعبد وإیاك نستعین**. بیروت. دار الکتاب العربی. الطبعة: الثالثة.

۳۱ـ الشیخ الصدوق، محمد بن علی بن الحسین. ۱۴۰۴ ق. **من لایحضره الفقیه**. قم. الطبعة: الثانیة. مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین.

۳۲ـ **منهج الأشاعرة فی العقیدة**، حوالی، سفربن‌عبدالرحمن، الدار السلفیة، ۱۴۰۷ق/۱۹۸۶م.

۳۳ـ الدکتور صبحی صالح. ۱۳۸۷ ق - ۱۹۶۷ م. **نهج البلاغة**. الطبعة: الأولی.

34- https://mawdoo3.com.
35- www.feqhup.com,ifi.
36- https://fa.wikipedia.org/wiki.
37- http://www.maarefquran.org.